

برنامج أنوار كاشفة

سفر الأمثال

الحلقة الثامنة والثمانون

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل فترة بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، وذلك لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

انتهينا في اللقاء الماضي بالحديث عن الأمثال التي كتبها لموئيل ملك مسّا. والتي هي عبارة عن ثلاث نصائح قدّمتها له والدته. فحذّرت في النصيحة الأولى من شهوة النساء، وفي النصيحة الثانية من الإدمان على الخمر. ودعته كملك في النصيحة الثالثة أن يفتح فمه ويقضي بالعدل، ويحامي عن الفقير والمسكين.

مستمعي الكريم، نكون بهذا قد وصلنا إلى نهاية سفر الأمثال. لكن لهذا السفر ملحق، هو عبارة عن قصيدة شعرية رائعة عن المرأة الفاضلة بالحروف الأبجدية. فيبدأ البيت الأول بأول حرف في الأبجدية العبرية التي كُتبت بها هذا السفر. وكل بيت يليه بالحرف الذي يليه من الواحد والعشرين حرفاً. إن هذه القصيدة خير تعبير عن نفسها. فمقابل ما ذكره سفر الأمثال عن المرأة الأجنبية أي الغربية، وتحذيره الإنسان منها. تتحدث هذه القصيدة عن المرأة الفاضلة، والأم المثالية، والزوجة الممتازة. وتكشف لنا عن شرف المرأة وكرامتها، وترفعها إلى أسمى مقام. لهذا يمدحها زوجها وبنوها.

هناك اعتقاد شائع لدى الكثيرين لاسيما في مجتمعاتنا العربية، أن المرأة يجب أن تكون ضعيفة، ذليلة، منطوية على نفسها، مستعبدة للرجل، وأنها وُجِدت فقط لمتعته، والقيام بأعمال المنزل. لكننا نجدها في هذه القصيدة على عكس ذلك تماماً. إن المرأة الفاضلة في هذه القصيدة هي امرأة متفوقة، قوية الشخصية، عظيمة الحكمة، متعددة المهارات، غنية بالعواطف، ونشيطة. وهي زوجة ممتازة، أم بارعة، صانعة ومصدّرة، وتاجرة، ومديرة أعمال، مزارعة، وخبّاطة، ومنجّدة، وتقوم بأعمال الخير والإحسان.

والملاحظ في صفات هذه المرأة الفاضلة، أنه لا توجد أية إشارة لمظهرها الخارجي. لأن جاذبيتها تنبع من سمو شخصيتها وقدراتها الخارقة. وأن قوتها وكرامتها الحقيقيتين ينبعان من تقواها وإكرامها لله، وليس نتيجة إنجازاتها المذهلة. بل على العكس تم التأكيد أن الحسن غش والجمال باطل. إن هذا كله يا صديقي يؤكد نظرة كلمة الله والمسيحية إلى المرأة المساوية للرجل. فالمرأة

ليست عبدة، وليست سلعة، أو ضعيفة، أو ناقصة العقل، كما يظن البعض. بل هي إنسان كامل مساوٍ للرجل. وقد خلقها الله نظيراً له لتساعده وتدعمه.

يبدأ العدد أو البيت الأول من هذه القصيدة الشعرية بالقول: "إمرأة فاضلة من يجدها لأن ثمنها يفوق اللآلئ." (أمثال ٣١: ١٠) إن المرأة الفاضلة هي بالحق كنز ثمين لمن يجدها، ولهذا قال عنها كاتب هذه القصيدة الرائعة، بأن ثمنها يفوق اللآلئ. وكأن الكاتب هنا يقارنها بالحكمة التي مدح سليمان الحكيم الإنسان الذي يجدها. وهو الذي قال: "طوبى للإنسان الذي يجد الحكمة وللرجل الذي ينال الفهم. لأن تجارتها خير من تجارة الفضة وربحها خير من الذهب الخالص. هي أثمن من اللآلئ وكل جواهرها لا تساويها." (أمثال ٣: ١٣-١٥)

تابع الكاتب في البيت الثاني قائلاً: "بها يثق قلب زوجها فلا يحتاج إلى غنيمة." (أمثال ٣١: ١١) وهذا يؤكد أن الزوج الذي يجد المرأة أو الزوجة الفاضلة، يكون كمن حصل على غنيمة أو جائزة كبرى، ولهذا ليس غريباً أن يثق بها.

أما سبب ثقة الزوج الكاملة بهذه الزوجة الفاضلة فيعود كما شرح لنا البيت الثالث من القصيدة: "تصنع له خيراً لا شراً كل أيام حياتها." (أمثال ٣١: ١٢) إن السعي نحو عمل الخير، أي كل ما هو مفيد وصالح، وتجنب الشر والمكائد، هو أهم صفة يجب أن تتحلى بها المرأة أو الزوجة الفاضلة. وعلينا أن نلاحظ قول الكاتب هنا، أن الزوجة الفاضلة تصنع الخير لا الشر كل أيام حياتها، أي تصنع الخير ليس لفترة زمنية معينة فقط، بل على مدى كل حياتها. وهذا ليس بالأمر الهين البسيط. إذ من الصفات الهامة للزوجة الفاضلة أن تستمر في صنع الخير على مدى الأيام والسنين.

بعد هذه المقدمة الرائعة عن المرأة أو الزوجة الفاضلة، يبدأ كاتب هذه القصيدة بالشرح عن أعمال هذه المرأة الفاضلة. فكتب في البيت الرابع قائلاً: "تطلب صوفاً وكتاناً وتشتغل بيدين راضيتين." (عدد ١٣) أي أنها تعمل بجد ونشاط وبدون تدمير لكساء أفراد عائلتها بالصوف والكتان.

وهي أيضاً في البيتين الخامس والسادس من القصيدة تكون: "كسفن التاجر. تجلب طعامها من بعيد. وتقوم إذ الليل بعد وتعطي أكلاً لأهل بيتها وفريضة لفتياتها." (أعداد ٤ و ١٥) فهي تجلب الطعام لأفراد عائلتها، ولو كلفها السفر بعيداً. وتهيء هذا الطعام عند الفجر. ومن المعروف أن النساء قديماً كن هنّ المسؤولات عن جلب الطعام وإعداده باكراً.

وتتابع القصيدة في البيت السابع قائلة عن المرأة الفاضلة: "تأمل حقلاً فتأخذه وبثمر يديها تغرس كرماً." (عدد ١٦) أي أنها يديها تتعب وتزرع الحقل، وتغرسه بالثمار المرغوبة.

وفي كل هذه الأعمال هي في البيت الثامن: "تنطق حقويها بالقوة وتشدّد ذراعيها." (عدد ١٧) إذ هي دائماً تجدد نشاطها وتقويّه لكيلا تخور، وتسعى إلى شحذ الهمم باستمرار لكي لا تتعب.

ولهذا نجد أنها تنتظر لأعمالها بكل سرور، ولديها شعور بالاكتماء. إذ نقرأ عنها في البيت التاسع: "تشعر أن تجارتها جيدة. سراجها لا ينطفئ في الليل." (عدد ١٨) فهي تسهر متابعة أعمالها الكثيرة.

سنتابع الحديث عن صفات هذه المرأة الفاضلة في اللقاء القادم إن شاء الله. لكن ماذا عنك أنت مستمعتي؟ هل تتمثلين بهذه المرأة الفاضلة؟ وهل تتوقين لكي تمتلكي بعض صفاتها؟ نرجو ذلك.